اليقين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما

ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره أن جمعنا في هذا المكان الذي نسأل الله أن يكون مكانًا مباركًا،

وسيكون موضوعنا إن شاء الله الكلام حول **اليقين**.

وهذا الأمر العظيم نحن بحاجة ماسّة للكلام عنه، فمن كان معه إيمان لا بد أن يفكر باليقين، ومن كان ضعيف الإيمان، فإن ضعف إيمانه سببه ضعف اليقين.

لماذا نتكلم عن اليقين؟

لأن الله عز وجل لما ذكر صفات المؤمنين في أول سورة البقرة قال في وصفهم:

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [٣] والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ **وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**}[١].

١- يؤمنون بالغيب
٢- يقيمون الصلاة
٣- مما رزقناهم ينفقون

[١] [البقرة :٣-٤]

٤- يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك

٥- وبالآخرة هم يوقنون

إذًا وَصَفهم أنهم بالآخرة هم يوقنون.. فالله عز وجل ابتدأ الوصف أنهم يؤمنون وختمه بأنهم يوقنون، فسنتحدث اليوم إن شاء الله من نقطة البداية؛ من الإيمان حتى اليقين.

نحن بفضل الله وبرحمته لما نصف أنفسنا نقول أننا مؤمنون، مسلمون.

لكن هذه الصفات قد تكون عند بعض الناس مجرد اسم ليس له حقيقة، ويعايش الإنسان حياته كلها وهو يظن أنه مع هذه الفئة، ثم ماذا يحصل؟ يأتي ذلك الموقف العظيم -يوم القيامة- ويكونون سويًا يسيرون؛ المؤمنون في نورهم، والمنافقون معهم في هذا النور يظنون أنفسهم من أهل الإيمان، ثم يقفون في موقف يُضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، {فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ}[٢] ، يأتي الموقف العظيم فيُفصل بين الخلق، فينادونهم، هؤلاء لم يكونوا كفارًا بدليل الجملة التي ستأتي، {يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ}.

[٢] [الحديد:١٣]

ينادونهم ألم نكن معكم؟ قالوا بلى، كنتم معنا، فالمعنى أنهم لم يكونوا مفترقين عنهم بل مجتمعون معهم، بلى كنتم معنا تشهدون شهادتنا، وتصلون صلاتنا، وتعيشون حياتنا، وتحضرون مجالسنا، لكنكم فعلتم أفعالًا سببت لكم أن يضرب هذا السور بينكم وبين المؤمنين؛

فعلوا خمسة أفعال -كما في سورة الحديد-:

{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ}[٣]

كل هذه الخمسة أفعال لها قاعدة واحدة 👈 (ضعف الإيمان الذي أدى إلى ضعف اليقين).

والناس اليوم يتكلمون في مجالسهم عن كل شيء إلا عن إيمانهم، يفكرون في كل شيء كيف يزيد؛ كأرصدتهم في جوالاتهم، أرصدتهم في البنوك، أرصدتهم في الملبوس والمأكول، إلا أسباب زيادة الإيمان!

فهو ليس موضوعًا مطروحًا في الساحة، والناس اهتماماتهم تظهر من خلال ماذا؟ من الكلام الذي يقولونه، الكلام الذي يهتمون به في المجالس والمناقشات، نعم يوجد ظاهرة حب للقرآن، لكن نحن لا نريد

---

[٣] [الحديد: ١٤]

قشورًا من الخارج، لا نريد أن نقنع أنفسنا أننا طيبون، ويكون من الخارج صورة ومن الداخل فراغ.

فلكي نقيس ثقافتنا وما الذي يهمنا، انظري للذي يدور بيننا، أسباب زيادة كل شيء نناقشه، في حين لما نصل عن أسباب زيادة الإيمان لا نفكر أن الإيمان كنز عظيم وجدته، هذا الإيمان يذهب وينقص، يبات الرجل ومعه جبل من الإيمان، ويُصبح وقد ذهب وما بقي منه ذرة، والسبب ضعف اليقين بهذه الحقائق.

فنحن نريد أن نرحل من عند الإيمان إلى اليقين، نقول ما هو الإيمان؟ وكيف من الإيمان أصل إلى اليقين.

الآن بالتأكيد الإيمان سيتصل بشيء ما نوعه؟ غيبي،

الإيمان لا نقوله إلا على أشياء غيبية، فنحن نريد أن نفتش في نفوسنا عن المسائل الغيبية،

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الاخر، والقدر خيره وشره، هذه الستة أركان العظيمة الأساسية التي نعاملها ليلًا ونهارًا، وإن لم نشعر، أين هي من مشاعرنا؟

نحن لا نريد أن نقول أين هي من معلوماتنا، لأنك لما تُسأل في القبر من ربك؟ ليس ما حفظته على لسانك هو الذي سينفعك، إنما الذي عشته بوجدانك ومشاعرك، وشعرت به هذا الذي ينفعك.

لذلك حين تقرئين وصف الأوائل حين يسمعون عن ربهم، توجل قلوبهم،

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[٤].

(وجلت) هذه عبارة عن ماذا؟ حركة شعور داخل قلوبهم،

تسمع عنهم أنهم يبكون ويخرون إذا سمعوا كلام الله عز وجل، تسمع عنهم أن مشاعرهم تتحرك ليل نهار، واليوم الناس يبكون ويخرون ويرجون ويخافون لكن على ماذا؟ على الدنيا.

يعني نحن مشاعرنا موجودة، لكن مشاعرنا كلها دائرة حول ماذا؟ حول الملموس.

في حين أن الغيب وما سنلقاه، وربنا الذي حتمًا كل واحد منا سيلقاه ليس بينه وبينه ترجمان، يكلم ربه، هذا اللقاء يوجد حاجز شعوري تجاهه. ما شعرنا به ولا استعدينا له، وكل التفكير هنا ماذا نُحصّل.

فنحن نصف واقعنا لنعرف أين المشكلة؟

الإيمان عبارة عن مجموعة حقائق مطلوب منك أن تصدقها تصديقًا يقينيًا.

---

[٤] [الأنفال: ٢]

هناك حقائق غائبة لا تراها، إنما تشعر بآثارها، يقال لك هذه الحقائق الغائبة ستتحول فتعيشها وتشهدها، والذي كنت تحسه سيذهب هباء.

مثال: الآن لو تكلمنا عن النور، النور بالنسبة لنا الشمس أو أضواء المصابيح، هذا النور الحسي هنا، ثم يوم القيامة ماذا يحصل في النور الحسي -الشمس والقمر-؟ تُكوران وتذهبان، يذهب النور الحسي، ويبقى النور المعنوي. والنور المعنوي ما هو؟ النور في القلب من الإيمان.

أنت لا تراه بعينيك ولا تحسه، لكن لما يأتي يوم القيامة يحصل العكس؛ تكور الشمس والقمر، فلا يبقى نور إلا على قدر النور الذي في قلبك فتسير فيه، فالذي كان في الدنيا معنويًا يصبح يوم القيامة حسيًا.

الاختبار هنا في الدنيا أنك لا ترى هذا النور ولا تحس به بحواسك، لكنه سيصبح هو النور، وإذا لم تحمل معك نورًا للآخرة لن يبقى هناك نور.

المشكلة التي نعيشها أن الحقائق الإيمانية الغيبية بسبب أنها غيب، وأن الواقع والأشياء المحسوسه شغلت قلوبنا ومشاعرنا، فأصبحنا لا نفكر في المسائل الغيبية، فأصبح الإيمان مجرد كلمة نقولها بلساننا، فمثلًا عندما يُقال لنا: ماذا يحدث لنا لما ندخل القبر وحدنا؟ لا نشعر

إلا بالخوف المجمل الذي ليس وراءه عمل، وهذا الخوف لا ينفع، لا بد أن نفكر جيدًا ماذا سيحصل لنا، وماذا علينا أن نفعل؟

إذن ماهو الإيمان؟

الإيمان هو التصديق بالحقائق الغيبية تصديقًا يقينيًا يدفعنا للعمل.

لو الآن ونحن في مكاننا، وقيل لنا حدث أيّ شيء مكروه، هل سنبقى في مكاننا؟ عندما نكون متيقنين أنه موجود، هل سنبقى؟ أكيد سنقوم ونخرج، لماذا؟ لأننا تيقّنا بوجوده، فخفنا، فتحركنا.

إذن لا بد أن تأتي هذه الثلاثة:

١- تصدق بالشيء.

٢- تصديقًا يقينيًا.

٣- ثم لا بد أن تتحرك.

فالمسائل الغيبية لماذا نشعر ببرود تجاهها؟ لماذا حين يقال لك أن كل نفَس من أنفاسك يمكنك أن تغرس به غرسًا في الجنة، وأنت لا ترى ذلك، ولا يخطر على بالك، أو يخطر أحيانًا، لماذا لا نتحرك؟ لأنه ينقصنا اليقين.

فنحن نصدق إجمالًا لكن ينقصنا اليقين.

اليقين يدور حول صفة الإيمان، فالمطلوب أننا حين نسمع الأخبار عن الله عز وجل، ونسمع الأخبار عن لقائه، وعن الأنبياء والرسل، وعن القران، أن يصبح لدينا تصديق يقيني يدفعنا للعمل.

هل نحن نُكذّب بلقاء الله تعالى، هل نكذب أنه سيكون في قبورنا سؤال؟ لا يوجد تكذيب الحمد لله، لكن ينقصنا اليقين، يوجد تصديق لكن ضعيف جدًا لدرجة أننا لا نصل أن يدفعنا لاغتنام كل فرصة.

الآن نريد أن نفهم ما هو اليقين بدقة، ثم نتحول منه إلى الأسباب التي تزيد يقيننا.

اليقين ماذا يشغل؟ يشغل مشاعرنا، فأنت حين تسمع خبرًا، على قدر ما يحصل في قلبك اشتغال شعوري به، على قدر ما تكون متيقنًا به.

مثال: الجماعة الذين هم تحتنا في الدور الأسفل، لو لم يرونا، وواحد نزل وأخبرهم أن في الأعلى يوجد زحام، الذين في الأسفل سيصدقون الخبر، لكن هل سيشعرون به؟ لا، لأن بيننا وبينهم حاجزًا، ولم يرونا، ولا سمعوا، ومن ثم لا يشعرون. لكن لو جاء أحد ووصف لهم بدقة لزاد شعورهم بنا، وكلما وصف لهم أكثر لشعروا أكثر.

ولو كانوا غافلين غير مهتمين، يوجد ما يشغلهم، فمهما وصفت لهم لم ينتبهوا، الغافل يظل لا يشعر.

نحن تأتينا الأخبار عن السماء، وعن الملائكة، ويأتينا الخبر أن حملة العرش العظام ومن حولهم يستغفرون للذين تابوا، يأتيك الخبر من القران أنك عندما تتوب، ليس أنت فقط من تطلب المغفرة لنفسك، لو تبتَ كما ينبغي، حتى حملة العرش يستغفرون لك، العظام الذين وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((أُذِنَ لِي أنْ أُحدِّثَ عن مَلَكٍ مِن حمَلَةِ العرشِ، ما بينَ شَحْمةِ أُذُنِهِ إلى عاتقِهِ مسيرةُ سبعِ مئةِ سنةٍ))[٥]، فحملة العرش العظام أخبرك الله أنهم يستغفرون للذين تابوا، فما هي مشاعرنا تجاههم؟ هل هذا الشيء شغلنا؟ غالبًا نقرأ هذه الآيات ونمر عليها ولا نشعر بها، ما السبب؟ لأن الشعور غافل ومشغول بشيء آخر.

أنت الآن لو وصلتك أخبار وصدقتها، التصديق أول خطوة، وكلما زاد البيان أكثر، زاد الانشغال بالمشاعر أكثر؛ والأخبار التي نصدقها بقوة فحتى لو لم نراها، فإننا نتفاعل معها. مثلًا لو أتاكم إعلان الآن أن شركة كذا قامت بتخفيض بكذا، وكلما سرتَ بشارع تجد نفس الإعلان، ماذا سيفعل ذلك في مشاعرك لو كان شيء يهمك؟ سيشغلك.

سنلاحظ أنه رغم تكرار الأخبار علينا في القرآن؛ عن الجنة، والنار، ولقاء الله عز وجل، لكننا لأننا غافلين عن هذا الأمر، مهما تكرر علينا

---

[٥] أخرجه أبو داود في سننه.

الخطاب كأنه لا يخاطبنا، ولا كأننا نحن المقصودون، ولا كأن هذا الأمر سيكون علينا، ولا نعرض أنفسنا على القرآن، ولا نعرض القرآن علينا.

الآن كل الوعود التي في القرآن للمؤمنين، من أين لي أن أقول أنا مؤمن؟ يجب أن أرى صفات المؤمنين، وأعرض نفسي عليها، أقول هل أنا فيّ هذه الصفات، إن كانت فيّ فأرجو الله تعالى أن يقبلني، وإن لم تكن فيّ فأقوم بها، لكن كم مرة قمنا بعرض أنفسنا على القرآن لنعرف من نحن؟

نرى مثلًا في أول سورة المؤمنون، أول صفة للمؤمنين {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}[٦]

فإذا انتفت هذه الصفة عنا -صفة الخشوع في الصلاة-، إذن لا بد أن تنتفي عنا الصفة التي قبلها وهي الإيمان.

{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} من هو المؤمن؟ الذي أتى بهذه الصفات المذكورة، وأول صفة أنهم في صلاتهم خاشعون، فإذا وجدت نفسي غير خاشعًا في صلاتي، فهذا دلالة على انتفاء الوصف عني، فعليّ أن أسعى إلى أن أصل لتحقيق هذا الوصف.

أنت ليس اسمك مسلمًا لأنك ولدت في بلد الإسلام، وكُتب في هويتك أنك مسلم، إنما أنت مسلم بتحقيق الصفات.

---

[٦] [المؤمنون: ١، ٢]

إذن أول مشكلة نحن نعانيها: أن كل الخطابات القرءانية التي توجه لنا لنزداد بها إيمانًا نكاد نكون عنها غافلين، وكأننا لسنا مخاطبين بها، ومن ثم إذا كنا عن الخطابات غافلين، هل ستنفعنا مهما تكررت؟ لا.

مثلًا: من الخطابات التي خوطبنا بها في سورة الكهف صورة الدنيا، ما حقيقتها؟ وأنت تقرأ في وردك ستجد أن الدنيا قد ذكرت ثلاث مرات -في يونس والكهف والحديد- بأنها مثل النبات -الذي نراه كل يوم-؛ ينمو، ويزهو، ويعجب أصحابه، ثم يذهب كأنه لم يكن، مثل عقد الفلّ الذي نجده زاهيًا في أول يوم نشتريه، ونضعه في أحسن مكان في البيت، ثم في اليوم التالي نتخلص منه، يقال لك هكذا الدنيا بالضبط، وإن طالت المدة لكن في الحقيقة لا زالت قصيرة.

في يونس بعد أن يصف الدنيا يدعوك الله إلى دار السلام {وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ}[٧]، أي أن هذه دار فناء وليست سالمة، والله عز وجل يدعوك إلى دار السلام أي إلى الجنة.

وفي الكهف بعد أن وصف الدنيا قال لنا: {وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا}[٨]، يعني خير ما تتأمل وتتمنى وترجو، أين انفعالنا؟ فوُصفت الباقيات الصالحات من العبادات والطاعات أنها خير ثوابًا عند الله، وخير أملًا بالنسبة لنا، أين انفعالك أن تعقد آمالك

---

[٧] [يونس: ٢٥]

[٨] [الكهف: ٤٦]

على هذه؟ هذا يعني أننا نصدق لكننا لا نفهم أن (خير أملًا) تعني أنه يجب أن تكون هذه آمالنا، فالمشكلة أنه توجد خطابات كثيرة نقرؤها لكننا لا نفهم أن الخطاب لنا.

وفي سورة الحديد يقول لنا: {سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ}[٩]، أي اترك الدنيا ولا تسابق من يسابقك في الدنيا، بل سابق إلى مغفرة من ربك وجنة عرضها كعرض السماء والأرض.

كل هذا الدعاء منه سبحانه وتعالى أين هو؟ (والله يدعوا إلى دار السلام)-(والباقيات الصالحات خير)-(سابقوا إلى مغفرة من ربكم) كل هذه النداءات أين أثرها على النفس؟ أثرها أننا لم نسمعها وقلبنا خالي لها، بل أثرها ممنوع لأن ما عند الله غائب عن التفكير، كل تفكيرنا هنا في المحسوسات، حتى أننا وصلنا لأن نقول لأنفسنا: كم صليت؟ كم صمت؟ كم...؟ على أنه كم صليت وصمت، فهذا صحيح ومقبول! فنشعر بأننا راضيين عن أنفسنا أننا آمنا، إلى أن نصل في رمضان فنقول: كم مرة ختمت؟ وكأننا ختمنا القرآن فنحن مقبولين عند الله تعالى! مع أننا نجد إبراهيم عليه السلام يبني البيت الذي أمره الله أن يبنيه، وإبراهيم الذي له وله...، ثم يقول: "ربنا تقبل منا" هذه مشاعر عبد عرف منزلته.

---

[٩] [الحديد: ٢١]

فنحن الآن **ما الذي يشكل علينا؟ انشغال مشاعرنا بغير الله، ومشاعرنا هذه -التي نظنها ملكًا لنا- خلقها الله تعالى في قلوبنا من أجل أن نَركبها فنصل إليه، ليس من أجل أن نوزعها على أهل الدنيا،** فأنت الآن لا تبنِ دينك إلا على تعظيم الله، ومحبة الله، والخوف من الله، والرجاء له.

حين أقول لك: حب، وخوف، ورجاء، أكلمك عن ماذا؟ أليست هذه هي المشاعر، هذه المشاعر خلقها الله ليصل العباد إلى ربهم بأيسر ما يكون، حتى لا يصعب عليك المسير، فيحصل في قلبك الشوق والوجل والرجاء، فيشتعل قلبك رغبة فيما عند الله.

لكن نحن ماذا فعلنا في هذه المشاعر؟ وزعناها مجانًا؛ أيّ أحد نجده في طريقنا ويوافق هوانا فنعطيه قليلًا، ونجد غيره فنعطيه قليلًا، إلى أن أصبحنا {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ}[١٠] -نسأل الله أن يسلمنا-، لكن نحن نصف الوضع العام الذي نعيشه -وهناك استثناءات-، الحمد لله كثرت مدارس التحفيظ، وكثر الحفاظ، لكن أين النتائج؟ كأن ذلك الكلام يقع على الفراغ، في حين أن المفروض أن ما تسمعه يسقط في فؤادك، لكن الفؤاد مشغول، له آماله.

---

[١٠] [البقرة: ١٦٥]

انظري كيف نصلي الظهر في البيت والقدر على النار، وننتظر أولادنا، ونريد أن ننهي الصلاة بأيّ طريقة، وأفكر في هذه المشاغل، ونحن نقف أمام الملك العظيم ونحن نفكر بأشياء أخرى! حتى استغفارنا بعد الصلاة لا نشعر أننا قصرنا، لو شعرنا أننا نقف بين يدي الملك لتهذبنا تهذيبًا، ولرتبنا الحياة على هذا الوقوف العظيم، لكن لأنه لا يوجد هذا الشعور فعدمت النتيجة.

أول المشكلة ليست أننا لا نعلم، لأن اليقين يأتي من العلم، لكن هذا العلم المفروض أين يقع؟ في القلب. لذلك لما وصف الله عز وجل القوم الذين نافقوا وابتعدوا قال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[11] لم يذكر الله عز وجل وصفًا لسمعهم، ولا لبصرهم، ولا وصفًا لقراءتهم، فقد يكونون يقرؤون، وقد يكونون يسمعون، وممكن يحفظون، لكن المشكلة في قلوبهم التي هي مكان الفهم.

فلا تتصور أن مشكلتك أنك تحتاج أن تسمع أكثر، مشكلتنا الأساسية أننا نحتاج أن نخلي قلوبنا أكثر، نحتاج لتخليتها، نحن المشاغل أخذتنا من كل جهة، التافه من الأمور نحمل همه، والله عز وجل يقول لموسى عليه السلام أن يقول لقومه -ويجعل الدين في جملة واحدة-: {أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا}[12]، أي كلما عافستك الشؤون

---

[11] [محمد: ٢٤]

[12] [الإسراء: ٢]

وجاءك ما يهمك، ⬅ مباشرة افزع إلى الله تعالى، هو وكيلك، من الطبيعي أن تأتينا الهموم، لكن الله عز وجل أَمَرَنا أن نفزع إليه في صغير الشأن وكبيره، وأن تتخذ الله وكيلًا.

من امتلأ قلبه معرفة بالله، كانت همومه سببًا للقرب من الله، وليست سببًا للبعد عن الله، الذي يعرفه حق المعرفة يعرف تمامًا هذه القاعدة؛ وهي أن **الله يبتلي العباد بالحاجات ليفزعوا إليه بالطاعات.** هو لا يبتليك بالحاجات لتتوه وتبحث عن غيره، فإذا انشغلت قلوب العباد بربهم بكل حاجة صغيرة وكبيرة، ستبقى القلوب عابدة طوال وقت حاجتك.

فهذه أهم قاعدة سننطلق منها إلى اليقين، نحن كلنا مشكلتنا أن قلوبنا مشغولة بغير الله، ستقول: "هذه هي الحياة، وهذه أقدارنا"، نعم، لكن الله عز وجل لما جعل هذه سنة الحياة، والحياة من معركة لمعركة، حتى ترى أن كل الحلول في الحياة عبارة عن مشاكل جديدة؛ مثلًا أنا مشكلتي بنتي، أخاف عليها وعلى عرضها، فأزوجها، فهل انتهت العلاقة بيني وبينها؟ لا، بل تأتيني هي وزوجها ومشاكلهم، ثم أولادها ومشاكلهم، فصارت كل الحلول عبارة عن مشاكل جديدة، لماذا هذه السنة في الحياة؟ لتبقى القاعدة واضحة؛ أن الله تعالى يبتلي العباد بالحاجات ليفزعوا إليه بالطاعات، ولا تنتهي حاجاتك أبدًا، لكن مشكلتنا أنه حين تأتي الحاجات، لا نفزع إلى ربنا، وإنما نبحث عن أيّ

شخص قبل الله، وبعد عدة محاولات مع الأسباب ولا أجد أحدًا ينفع، ألجأ إلى الله.

وهذا الفزع إلى الله ليس في شؤون دون شؤون، فمثلًا عندما يأتي لولدي مرض عضال، أدعو ثم أدعو، ومتى يصدّع رأسه أقول له: خذ حبة مسكن، لا

بل علينا أن نفزع إلى الله من صغير الشأن إلى كبيره. إذن السبب الأول لضعف اليقين هو انشغال قلوبنا.

علينا أن نضع الحديث القدسي نصب أعيننا وبه يظهر السبب الثاني لضعف اليقين والبعد عنه: ((يا عِبادِي، كُلُّكُمْ جائِعٌ إلّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبادِي، كُلُّكُمْ عارٍ إلّا مَن كَسَوْتُهُ، فاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ..))[١٣] أين نحن من هذه العبادتان، اعتبرهما قاعدة وعليها قِس كل الحاجات، وقِس كل الفزع المطلوب.

كلمة (أطعمته وكسوته) يجب أن يكون أمامها (استطعموني واستكسوني)، نحن نشعر بأننا جائعين، وشاعرين بأننا عارين، أي أنها حاجة من حاجاتنا أننا نجوع ونعرى، لكننا عندما نشعر بهذه الحاجة نفزع لقوانا لطعامنا وشرابنا، أنت تقول: "طبيعي أننا نعمل ذلك"، لا

[١٣] رواه مسلم في صحيحه.

ليس من الطبيعي، لكن الترف الذي نعيشه والنعمة، فنعمة الله شغلتنا عن الله. والله يربينا، ويكرر علينا التربية، ولا ننتبه لهذه التربية.

كم من المأكولات عندنا ولا نستطيع أن نأكل؟ وكم من المرات أنت تملك لكن جلست جائعًا لأيّ سبب كان؟ وعندك مال لكن لست قادرًا أن تستكسو، مثلًا يذهب الوقت ولم تستكسو للعيد مثلًا.

تأتي مثل هذه المواقف في الحياة لتقول: "يا غافلين، اعلموا أنه لا يطعمكم إلا الله، ولا يسقيكم إلا الله"، لكن استغنينا عن الله بما أعطانا الله، لذلك تكرر في القران أن أهل الهلاك هم أهل الترف لماذا؟ وانظر في أول سورة -العلق-: {أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}، أي لما امتلأ مالًا، استغنى عن ربه، ووجد أنه غير محتاج إلى الله!

نحن يستولي على قلوبنا ضعف اليقين لما نشعر بأننا استغنينا عن الله، والسبب نعمة الله علينا، والمفروض العكس، قد تقول: أنا أكلي في الثلاجة، وشعرت بالجوع، فماذا أفعل قبل أن أصل إلى أكلي؟ أين يحصل الفزع؟

لا بد أن نعلم أن الفزع عمل قلبي، فقد تأكل ولا تشبع، وتشتهي الشيء، ولا تعرف ما تشتهيه، ثم تنام وأنت جائع. فأنت حين تفزع إلى الله، تفزع إليه أن يطعمك، ليس الطعام هذا الذي تتصوره مجرد

المأكول، إنما لكي تشبع عينيك التي فيها طمع، ويشبع فؤادك الذي فيه لهفة على الدنيا.

(استطعمه) أي افزع إلى الله أن يشبعك بالقليل ويرضيك، هذه كلها مشاعر لا بد أن نجدها، وإلا ستأكل ولا تشبع، وتأكل وتأكل وتتمنى، وتأكل وتشتكي من الأكل. المقصود أن اليقين يحتاج منا ألا ننشغل، وكيف لا أنشغل والدنيا كلها تشغلني؟

بكلمة واحدة كما في سورة الإسراء: {أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا} أي في كل شأن، صغيرًا كان أو كبيرًا نفزع إلى ربنا، وهذا الفزع يحتاج إلى عاملين:

١- زيادة المعرفة عن الله.

الجهل بالله تعالى سبب عظيم من أسباب الغفلة عنه، نحن غافلين عن الله، وعن طاعة الله، وعن التعلق بالله بسبب أننا لا نعرف ربنا، ولهذا ما قدر الخلق الله حق قدره.

٢- التدريب: تدرب نفسك على ألا تسبق قدمك أو لسانك قلبك، وتدريب أعضاءك جميعها أن قلبك الذي يسابق، أي يذهب قلبك إلى الله، تدريب قلبك ألا يلتفت لغير الله، نريد أن يسبق القلب حركة اللسان والقدم.

مثلًا: عندك ألم في أسنانك، وأخذت الدواء، ثم وقفت في الصلاة وهذا الدواء موضوع في الدولاب على اليمين، وأنت في الصلاة آلمتك أسنانك، أين يذهب قلبك؟ إلى اليمين، مع أنك في الصلاة بين يدي الملك الذي وصفه أنه الشافي، لكن لمن التفتّ؟ لهذا الدواء.

القلب يلتفت التفاتًا خطيرًا، فأنت تحتاج التدريب؛ **لا يسبقك قلبك في الالتفات لغير الله، وأعضاء بدنك لا تسبق قلبك في الحركة.**

مثلًا انقطعت المياه، أول ما يلتفت قلبك للوايت -خزان للمياه-، ومكان إحضار الماء، ومن سيشتري لنا، ونحن لا نقول أنك لا تتحرك وتأخذ بالأسباب، لكن لا بد أن يسبق قلبك حركة لسانك وبدنك. لما تسبق وتقول: اسقني يا الله، أعطني، أغثني، ساعدني، أعني، فييسر لك الأسباب، لكن لما تعرض عنه يعقد لك الأسباب، وإذا لم تتأدب يتركك، تتسهل لك كل الأسباب.

وهل أنت تظن أن الأسباب أول أم الله أول؟ فإذا كان الله الأول، فكيف لا نذهب للأول ونذهب لما بعده؟! أليس هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ونقول هذه الأسماء في الدعاء، ونقول اقض عني الدين واغنني من الفقر، أنت الأول الذي ليس قبلك شيء فلا تجعلني لغيرك فقيرًا أبدًا، اجعل قلبي دائمًا إليك فزِعًا.

فالمقصود أن **عندنا طريقين لنجعل قلبنا يتأدب ويفزع ويتيقن:**

١. التعرف على الله تعالى بالعلم

٢. وندرب قلبنا بأن لا يلتفت لغير الله؛ من محبوب، أو من شخص تطمع فيه.

تخيل نفسك تذهب لأحد، وأنت قلبك معلق به، وعندك دين وتريده أن يقضيه، وكلمته بكل القصة، وتخيل هو يمد يده في حقيبته، ويخرج منديلًا، وأنت قلبك سيخرج من مكانه، كم هو ذل، لماذا؟! والله يريد أن يعز أهل الإيمان بالذل بين يديه، ينادي في ثلث الليل الأخير من الليل، ينادي هل من سائل أعطيه، ليس فقط وقت أن تقوم، بل حتى لو تقلبت فزعًا في الليل وذكرته، ثم سألته أعطاك وأنت على فراشك، هل هناك أكرم وأقرب من الله؟ هل من أحد يملك ملكًا ينازع فيه الله؟

فإذا كان هذا كله معلومًا، أين حركة القلب تجاه الله؟ الغفلة والانشغال عوارض صارت عندنا، الأسباب قطعت علينا باب الله، ولذلك ما أعجبنا ونحن كل جمعة نقرأ سورة الكهف، ونقرأ مسألة الأسباب، وتتكرر علينا، ومع ذلك يكون موقفنا كأننا لا نقرأ.

ماذا قال الله عز وجل عن صاحب الجنة في سورة الكهف؟ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾[١٤].

[١٤] [الكهف: ٣٢]

لاحظ أفعال الله عز وجل؛ جعلنا، حففناهما، جعلنا بينهما زرعًا.

بعد كل هذه الأفعال من الله، يقول صاحب الجنتين لصاحبه: {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}[١٥]، انظر كيف أخذته الأسباب، الله تعالى يخبر أنه أعطى وحفّ وجعل وبعد كل عطايا الله يقول: أنا أكثر منك، (أنا)

وكلما أعطاه الله أكثر، كبرت مشكلة الأسباب عنده، {دخل جنته وهو ظالم لنفسه} كأنه يقول: السبب لن يزول، لن يزول بيتي ومالي وقدرتي وصحتي وذكائي ...، {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا}[١٦]، ثم عظمت المسألة أكثر وقال: ما أظن الساعة قائمة، هو في شك وليس عنده يقين، تصور أن منزلته في الدنيا تساوي منزلته في الآخرة، ما دام أُعطي هنا سيعطى هناك، فالمشكلة تكبر فتكبر، غافل عن ربه ومطمئن أن له مكانًا عند ربه، وكل واحد فينا يقيس هذه المسألة في نفسه؛ غافل ومطمئن، وهذا خطر عظيم.

جاء صاحبه يعظه: المفروض أن تقول بكلمتين: {مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}[١٧]، هذه الجنة كيف صارت إلى ما صارت إليه من الجمال والبهاء؟ أنت لم تنشأها، لست أنت فالق الحب

---

[١٥] [الكهف: ٣٤]

[١٦] [الكهف: ٣٥]

[١٧] [الكهف: ٣٩]

والنوى، ولا أنت مخرج الثمرات، من ثم ليس ما تشاؤه، إنما ما يشاؤه الله، ثم إنك حين تحرث، هل تظن أنك لما حرثت فعلت؟ (لا قوة إلا بالله) ليس لك قوة، إنما القوة أتت من الله، واعلم أن الله لو شاء أن يفعل بها سيفعل ويفعل.

وقال صاحبه الناصح له عن نفسه: {وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}[١٨].

الآن صاحب الجنتين أشرك مَن مع الله بدليل قوله {وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا}[١٩]؟ أشرك نفسه والأسباب التي يملكها، إذن كل جمعة يقال لنا انتبه من نفسك والأسباب، نقرأ قول الذي ذمه القرآن: {أنا أكثر منك مالا وولدا}، ثم نقول: أنا فعلت، أنا عملت...! ونقرأ {وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا}، والخلق يكررون الشرك مع الله في أنفسهم والأسباب، على أننا فعلنا، لذلك كثيرًا ما يقول الله لنا في القرآن؛ تنبهوا، هذه الأشياء إنما فعلها الله.

انظري لعرضه لنعمه في سورة النحل: {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ}[٢٠] خلقه من نطفة وهي لا تساوي شيئًا، فإذا هو خصيم مبين! فصاحتك وقدرتك على الكلام أعطاها لك الله، الأنعام أعطاك الله إياها، {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

---

[١٨] [الكهف: ٣٨]

[١٩] [الكهف: ٤٢]

[٢٠] [النحل: ٤]

﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}، {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم .....(١٠) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ}[٢١].

انظر لكلمة (لكم): {خلقها لكم}، {لكم فيها جمال}، {أنزل ... لكم}، هو أعطاكم إياها، أوجدكم وأعدكم وأمدكم ثم تشركون أنفسكم به! هذا كله يغيّب اليقين عنا، لذلك الله عز وجل يأمرنا أن نتفكر {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}[٢٢] فكر وأجب على ربنا، أأنت تزرعه أم الله؟ هل أنت أوجدت الحبة أم رزقك الله إياها؟ والتربة؟ والماء؟ والهواء؟ إلى أن تصل إلى الحراثة تجدها لا قوة لنا إلا بالله تعالى، ثم عندما تضع الحبة في الأرض، هل لو اجتمع أهل الأرض على أن يفلقوها، هل تنفلق؟ الله فالق الحب والنوى، ولو انفلقت فمن مخرج الثمرة؟ الله، إذن الجواب نحن لم نفعل شيئًا، إنما في الحقيقة الله الذي يفعل، ويمدنا بالأسباب ونحن ننتفع بها.

لذلك عندما تقرأ في سورة النحل هذا الأمر العجيب، ونرده لأنفسنا ونفكر؛ حين نسمع عن اللبن -أي الحليب- الذي نشربه، والله يصفه أنه من بين فرث ودم، الفرث والدم معلوم ما هما، وكلاهما مستقذر،

---

[٢١] [النحل: ٥-١١]

[٢٢] [الواقعة: ٦٣، ٦٤]

ثم تجد وصف اللبن خالصًا سائغًا للشاربين، أي أبيضًا، {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ }[٢٣]. وهو خارج من بين المستقذر -فرث ودم-! ما آخر حدنا في التفكر باللبن والحليب؟ هل نتذكر الله وعطاء الله أم نتذكر الشركات؟ حتى البقرة لا نذكرها، المقصد أننا في غفلة وانشغال، وأصبحنا محجوزين عن العطايا، يعني أنت تنعمين أهلك، وتعملين لهم سلطة فواكه مثلًا فيها التفاح الأخضر والأحمر والأصفر، وهذا لا يُرد إلى عطية الله! ولا إلى ما ذرأ لكم في الأرض مختلف ألوانه! وإنما إلى أننا اشتريناه من مكان كذا، وهكذا حتى يغيب ذكر الله في عطايا الله، لذلك يضعف اليقين، ويضعف ويضعف إلى أن تجده قد انتهى، يعني لو كنت تتعالج عند طبيب، وقال لك أحد أن الطبيب سيسافر، ممكن يسقط الإنسان من طوله، لماذا؟ لأنه طبيبه الذي يعالجه، بينما الطبيب هو الله.

ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أعرابيًا كان يطبب، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: أرني ظهرك فإني طبيب، قال: «الله الطبيب أنت رجل رفيق، طبيبها خالقها»[٢٤]. هذا هو اليقين. فاليقين أن يصل قلبك إلى مشاعر أنك أنت تتناول العطية من الله، وما بين يديك -الذي بينك وبين الله- هذه أسباب أتت لاختبارك. لأن سنة الله أن من

---

[٢٣] [النحل: ٦٦]

[٢٤] صحيح في الجامع الصغير

آمن بالغيب أدخله جناته، وجعل بينه وبين عباده كل هذه الأسباب، فالذي يتيقن سيتخطى الأسباب، والذي لا يفكر ولا يتدبر سيصبح رهينًا للأسباب، ستحكمه الأسباب.

لا بد أن نسعى لكشف الغمة عن أنفسنا وعن أبنائنا، المصيبة العظيمة في أبنائنا! فبعد أن كنا نقول ربنا يرزقنا ربنا يعطينا، أصبحنا نقول لهم انتظروا آخر الشهر نسحب من الصرّاف، بحيث يقول لك الصغير أعطني، فتقول لا أملك، فيقول لك اذهب للصراف، فأصبحت العطية من الصراف في آخر الشهر، وليست من الله، وأنت تبني بداخله وتصنع عقيدته أن الذي يعطيه ويرزقه الصرّاف، وهكذا يذهب الدين، يذهب إلى أن يأتي زمان على الناس لا يعرفون الله، بهذه الطريقة تغيب العقيدة، لا تتصور أن العقيدة مجرد شيء تلقيناه من أبائنا، لا، إنما العقيدة هي ممارسات يومية بعدد أنفاسنا.

إذن الآن نختصر الطرق التي توصلنا لليقين.

علينا أولًا بالتخلية ثم التحلية، نخلي القلب عن الشواغل لكي نحليه باليقين.

ماذا نفعل لنخلي قلوبنا عن الشواغل ونصرفها؟

١- كل شاغل يأتيك حوّله إلى عبادة، استغث واستعن بالله، يشغلك صلاح أولادك ⬅ استغِث واستعِن، اسأل الله، يشغلك من سيوصلك إلى البيت ⬅ حول هذا إلى عبادة.

٢- ضيّق على الشيطان تخويفه بكثرة الاستعاذة والثقة بالله، لأن الشيطان يريد أن يشغلك، وهناك شواغل حقيقية في الحياة، فهذه أحولها إلى عبادات، وهناك شواغل وهمية، مثلًا أخاف على مستقبل أبنائي، ...، فيشغلك الشيطان بذلك، ويدخلك في متاهة، ماذا تفعل؟ ضيّق على الشيطان تخويفه لك بكثرة الاستعاذة، بالفزع إلى الله والثقة به، وتكون صادقًا في هروبك إلى الله.

٣- الصحبة التي نعيش معها قد تشغلنا، اجعل لكل شيء حد، ولا تعش الحياة على المجاملات فتهلك، قد لا تقابل صاحبك بالشهور، لكن مع ذلك يشغلني بالاتصال مثلًا، أو بأيّ قضية، إلى أن وصلنا إلى حد الإدمان، كنا نفتح عيوننا نذكر الله، أما الآن أصبحنا نفتح عيوننا على جوالاتنا. حتى أننا أصبحنا لا نعتمد على ذاكرتنا بحفظ أذكارنا، وإنما لا بد أن نفتح الجوال الذي فيه الأذكار، أو تفتح مصحفك من الجوال، فتأتيك رسالة فتلفت نظرك وتتشتتك، وتصبح لست مع هذا الدين الذي تقوم به.

الآن بعد هذه المراحل الثلاث للتخلية، بدأ قلبي يصحو ويستيقظ، لم يعد مشغولًا إلى أن ذهبت بركات أوقاتنا وأعمارنا، فأول عمل لتقوم بالتحلية (الدعاء) الذي يتضمن الاستعانة.

التحلية:

١- الدعاء. ندعو الله أن يبارك في أعمالنا وفي قلوبنا، وأن يرزقنا اليقين، ونستعين بالله على أن يمتلئ القلب يقينًا، كن صادقًا، والله لا يخذل الصادقين.

٢- تلاوة القرآن ومعنى التلاوة الاتباع، كما قال تعالى {والقمر إذا تلاها}، أي والقمر إذا تبعها، فالقرآن ليس لتلاوة الحروف وحسب، {إنما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الأنفال : ٢] تلاوة الحروف وسيلة يجب أن آخذها، لكن أحتاج أن أفهم ما أخاطب به، أسأل عما أخاطب به، فالله يخاطبنا، ويضرب لنا الأمثال، ويبين لنا الحقائق، وفي النهاية كأننا لم مسمع!

حين نقرأ في صلاتنا {ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر}[٢٥]، نجد أنه صحيح ألهانا التكاثر، نحن ملتهون ونبقى ملتهين حتى زار كثير من أحبابنا المقابر، أين نحن من الآيات التي نقرؤها، معنى هذا أن الكلام الذي نسمعه لا يسقط في قلوبنا، فتبقى الأزمة.

---

[٢٥] [التكاثر:١، ٢]

لذلك الأمر الثاني في التحلية تلاوة القرآن، لكن بأيّ صفة؟ تلاوة من يريد أن يعرف الرحمن، يفتح القرآن ليعرف من هو الله، ويتعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله، من هو ربنا الذي سنلقاه يقينًا. حينما تقرأ القرآن بهذه الروح، وتعرف كيف عامل الله تعالى أولياءه، وكيف عامل أعداءه، تعرف من هو الله حقًا.

يعني نقرأ سورة البروج ولا نتيقن كيف يعامل الله أولياءه، نقرأ سورة القصص ونسمع أفعاله يصف لنا فرعون {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}[٢٦]، الله عز وجل وصف فرعون بخمس صفات، ويقابلها أنه وصف ما يريده سبحانه {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ}[٢٧] خمسة من صفاتهم وخمسة من إرادات الله، وتنتهي هذه القصة بأن إرادة الله هي الغالبة. قصة مثل هذه من أولها لآخرها ثم لا أعرف أن أُعرّف الناس من هو ربنا؟

كل يوم نقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين، وأنا لا أعرف معنى الصمد؟! كل يوم أقول بعد الصلاة: اللهم أنت السلام ومنك السلام، وأنا لا أعرف من هو السلام وما معناه؟! وكيف تسلم الحياة إذا عرفنا ربنا

---

[٢٦] [القصص: ٤]

[٢٧] [القصص: ٦]

السلام. لا تقبل بالقشرة التي تعيشها وليس فيها لب ينظر له الله، فلُبُّك وروحك هو الذي ينظر إليه الله.

٣- لا بد ونحن نقرأ القران قراءة من يريد أن يعرف الله أن ندعو نفسنا إلى الحق وندعو غيرنا. {وَالْعَصْرِ *إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[٢٨] فأنت اقرأ وتعلم وتيقن، وعليك بأقرب الناس إليك، لا تتصور أن الدعوة والبيان لا بد أن يكون في محاضرات لا، أبدًا، ادعُ أهل دارك، اليقين الذي سيقع في قلبك سيزداد يقينًا حينما تعرضه على خاصة شأنك. لا نترك بيوتنا مهجورة من الوعظ والبيان وإيصال الحق. لا تقل هم في وادي ونحن في وادي، لا يعظّم عليك إرشادهم ويخوفك منه إلا الشيطان. أنت قل كل ما تستطيع، والله عز وجل ينزل البركات على الصادقين.

لا بد أن نعتني بقلوبنا واليقين في قلوبنا، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ)) [٢٩].

فلما ينظر الله إلى قلوبنا وقلوبنا مشتغلة بالدنيا وبتوافه الأمور، ألا نستحي أن الله ينظر إلينا وهو الملك العظيم وقلوبنا خاوية من التعلق

---

[٢٨] [العصر: ١-٣]

[٢٩] رواه مسلم في صحيحه.

به مليئة بالتعلق بالدنيا؟ فأنت لا بد أن تشعر أن الدنيا وسخ، ولا يصح أن تقوله بلسانك وقلبك مختلف، لا بد أنّ قلبك تخرج منه الدنيا. ولذلك من سلك هذا المسلك تجده لا يشغله سوى شأن نفسه. لا يفكر هذا لماذا فعل كذا؟ بل كل تفكيره لماذا أنا فعلت؟ ينشغل بنفسه؛ تصرفي هذا يدل على كذا، لذلك ورد في الحديث الصحيح: ((من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعْنيه)) [٣٠] فإذا تركت ما لا يعنيك ستهتم بما يعنيك، والذي يعنيك نفسك وخاصة أهلك.

أسأل الله عز وجل العظيم رب العرش العظيم أن يرزقنا جميعا اليقين نحن والمسلمين وذرارينا وأن ينزل علينا الرحمة والبركات ويجعل بيوتنا بيوت الإيمان.

[٣٠] أخرجه أحمد في مسنده.